رؤيا .. المجاهدين

- أنا زوجتك الخالدة.
- يا أبا فراس.. ما صنعت؟
- يا أماه أبشري.
- ارجع إلى أمك.

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

[٣٨] أنا زَوْجَتُكَ الخالدة

عن رافع بن عبد الله قال: قال لي هشام بن يحيى الكناني: لأحدثنك حديثًا رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني الله عز وجل به فعسى الله أن ينفعك به كما نفعني، قلت: حدثني يا أبا الوليد قال: غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثلاثين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وهي الغزوة التي فتح الله عز وجل فيها الطوانة، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد، وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات، وكان معنا رجل يقال له: سعيد بن الحارث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون في جميع الأمور بحيث لا يخلي شيئًا من عبادته، وما رأيته في ليل ولا نهار إلا في حال اجتهاد، فإن لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن، قال هشام: فأدركني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة ونحن محاصِرون حصنًا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد في تلك الليلة في شدة الصبر على العبادة ما احتقرتُ معه نفسي وعجبتُ من قوة جسمه على ذلك، وعلمتُ أن الله يؤتي الفضل من يشاء وأصبح كالًّا من التعب فقلت له: يرحمك الله إن لنفسك عليك حقًّا ولعينك عليك حقًّا ولقد علمتُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**» وذكرتُ له شبه هذا من الأحاديث فقال لي: يا أخي إنما هي أنفاس تعدّ وعُمرٌ يفنى وأيام تنقضي، وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي، فأبكاني جوابه ودعوت الله عز وجل له بالعون والتثبيت، ثم قلت له: نم قليلًا تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطًا فنام إلى جانب الخباء،

OBEIKAN.COM

وتفرق أصحابنا فمنهم من هو في القتال، ومنهم من هو في غير ذلك، وأقمتُ في موضعي أحرس رحالهم، وأصلح لهم طعامهم فبينما أنا كذلك إذ سمعت كلامًا في الخباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائمًا وظننت أن أحدًا دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحدًا غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم ويضحك في نومه فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئًا ثم ردها بلطف وهو يضحك ثم قال: «فالليلة» ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد فاحتضنته إلى صدري مدة، وهو يلتفت يمينًا وشمالًا حتى سكن وعاد له فهمُه وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى، فقلت له يا أخي: ما شأنك؟ فقال: خير يا أبا الوليد، قلت: إني قد رأيت منك شيئًا وسمعت منك كلامًا في نومك فحدثني بما رأيت. فقال: أو تعفيني من ذلك، فذكّرته حق الصحبة، فقلت حدثني يرحمك الله، فعسى الله أن يجعل لي في ذلك عظة وخيرًا. فحدَّثه عما رأى في منامه من قول رجلين له لم ير قط مثل صورتهما كمالًا وحسنًا: يا أبا سعيد أبشر فقد غُفِر ذنبك وشُكِر سعيك وقُبِل عملك واستُجِيب دعاؤك وعُجلت لك البشرى في حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم.

وظل سعيد يروي ما رأى من القصور والحور وترحيبهن به، والجواري حتى انتهى إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون فقالت له: قد طال انتظارنا إياك، فقلت لها: أين أنا؟ قالت: في جنة المأوى. ومن أنتِ؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة. قال: فمددت يدي إليها فردّتها بلطف وقالت: أما اليوم فلا. إنك راجع إلى الدنيا، فقلت: ما أحبُّ أن أرجع. فقالت: لابد من ذلك وستقيم ثلاثًا ثم تفطر عندنا في الليلة الثالثة إن شاء الله تعالى. فقلت: فالليلة الليلة، قالت: إنه كان أمرًا مقضيًّا، ثم نهضت عن مجلسها ووثبت لقيامها فإذا أنا قد استيقظت، قال هشام: فقلت: يا أخي، أَحدِثْ لله

شكرًا فقد كشف لك عن ثواب عملك، فقال لي: هل رأى أحد غيرك مثلما رأيت مني، فقلت: لا. فقال: أسألك بالله عز وجل إلا سترت عليّ ما دمتُ حيًّا، فقلت: نعم، فقال: ما فعل أصحابنا فقلت: بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومس طيبًا وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل، وانصرف أصحابه وهو فيهم، فقالوا لي: يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه، فقلت في نفسي: لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه، قال: وأفطر على شيء من الطعام وبات ليلته قائمًا وأصبح صائمًا فصنع كصنيعه بالأمس، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثلما ذكروه بالأمس، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت: لابد أن أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يُلقي نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شيء وهو يؤثر فيهم الآثار، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعًا وأنا أنظر إليه، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له: هنيئًا لك بما تفطر الليلة يا ليتني كنت معك! فعض شفته السفلى، وأومأ إليَّ ببصره وهو يضحك يعني اكتم أمري حتى أموت. ثم قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده فوالله ما تكلم بشيء غيرها، ثم قضى -رحمه الله- الله عليه. قال هشام: فقلت بأعلى صوتي: يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا، فاجتمع الناس إليّ فحدثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر، وأقبلوا للصلاة عليه، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فقال: يصلي صاحبه الذي

OBEIKAN.COM

عرف من أمره ما عرف قال هشام: فصليت عليه ودفناه في موضعه، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضًا ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة وقلوب مشتاقة إلى لقاء الله عز وجل فما أضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله تعالى[١].

[٣٩] يا أبا فراس.. ما صنعت؟

قال المغيرة بن حبيب، قال عبد الله بن غالب الحراني: لما برز العدو على ما أساء من الدنيا، فوالله ما فيها للبيب جدل، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء في ظلم الليل، رجاء ثوابك وحلول رضوانك، لقد كنت متمنيًا لفراق الدنيا وأهلها. قال: ثم كسر جفن سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قُتل. قال: فحمل من المعركة وإنه لرمق، فمات، دون العسكر، فلما أن دفن أصابوا من قبره رائحة المسك. قال: فرآه رجل من إخوانه في منامه، فقال: يا أبا فراس، ما صنعت؟ قال: خير الصنع، قال: إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال: قلت: أوصني، قال: اكسب لنفسك خيرًا، لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلًا[٢].

---

(١) فكاهة الأذواق ص(٨٦) اختصار محمود العالم.
(٢) المنتظم (٧/ ٢٥٥).

OBEIKAN.COM

[٤٠] يا أماه أبشري

حكي أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكان منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدوّ على ثغر من ثغور الإسلام، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيبًا، فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة مجلسه، وتمادى عبد الواحد في كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد في وصف حوراء:

غـــادةٌ ذَاتَ دلالٍ ومـــرح ... يجـدُ الناعـتُ فيهـا مـا اقـترح
خُلقـت مـن كـل شيء حَسَـنٍ ... طيِّـبٍ فالليـث فيهـا مطـرح
زَانَهـــا الله بوجـــهٍ جمعـــتْ ... فيـه أوصـافَ غريبـات الملـح
وبعـينٍ كحلُهـا مـن غنْجهـا ... وبخـدٍّ مسـكهُ فيـه رشـح
نـاعمٌ يجـري عـلى صـفِحتِه ... نضرةُ الملـكِ ولألأ الفَـرح
أتـرى خاطبهـا يسـمعها ... إذ تـدير الكـأسَ طـورًا والقـدح
في ريـاضٍ مُونـقٍ نرجسُـها ... كلـما هبّـتْ لـه الـريحُ نفـح
وهـي تـدْعوه بـودٍ صـادقٍ ... مـليء القلـب بـه حتـى طفـح
يـا حبيبًـا لستُ أهـوى غـيره ... بـالخواتيم يـتم المفتـتح
لا تكـونن كمـن جـد إلى ... مُنْتَهـى حاجتـه ثـمّ جمـح
لا فـما يَخْطُـبُ مـثلي مـن سـها ... إنـما يخطـب مـثلي مـن ألَـحَ

قال: فماج الناس بعضهم على بعض، واضطرب المجلس، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألست تعرف

ولدي إبراهيم؟ ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضربه عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فكرّر ما ذكَرْتَ من حُسنها وجمالها، فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء ثم أنشد:

تولَّد نـورُ النَّـورِ مـن نُـورِ وجههـا ... فمازجَ طيبُ الطِّيبِ مـن خـالصِ العطـر

فلو وطِئَتْ بالنَّعْـل منهـا عـلى الحصى ... لأعشبت الأقطار من غـير مـا قطـر

ولو شـئت عَقْـدَ الخصر فيهـا عقدّتـه ... لغصن من الريحـان ذي ورقٍ خَضر

ولو تفلّتَ في البحرِ شـهدُ رضـابها ... لطاب لأهلِ الـبرّ شربٌ مـن البحـر

يكادُ اختلاسُ اللَّحْظِ بجرح خدّها ... بجارح وهم القلبِ من خـارج السّر

فاضطرب الناس أكثر، فوثبت أم إبراهيم، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، قد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فهل لك أن تزوجه منها هذه الساعة، وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعًا لي ولأبيه يوم القيامة؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزًا عظيمًا، ثم نادت ولدها: يا إبراهيم، فوثب من وسط الناس، وقال لها: لبيك يا أماه، فقالت: أي بني، أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله، وترك العود في الذنوب؟ فقال الفتى: أي والله يا أماه، رضيت أي رضا، فقلت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية، ببذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب، فتقبله مني يا أرحم الراحمين، فقال: ثم انصرفت، فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد، هذا مهر الجارية تجهز به، وجهز الغزاة في سبيل الله تعالى، وانصرفت، فابتاعت لولدها فرسًا جيدًا، واستجادت له سلاحًا، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم يعدو، والقراء حوله يقرءون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ قال: فلما أرادت فراق ولدها، دفعت إليه كفنا وحنوطًا، وقالت له: يا بني، إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك مقصرًا في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها، وقبلته بين عينيه، وقالت له: يا بني لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة. قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو، ونودي في النفير، وبرز الناس للقتال، وبرز إبراهيم في المقدمة، فقتل من العدو خلقًا كثيرًا، ثم اجتمعوا عليه فقتل. قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها، حتى ألقاها بحسن العزاء، لئلا تجزع فيذهب أجرها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما نظرت إليّ قالت: يا أبا عبيد، هل قُبلَتْ مني هديتي فأهنأ، أم ردت عليّ فأعزى؟ فقلت لها: قد قُبلت هديتُك، إن إبراهيم حي مع الأحياء يرزق، قال: فخرت ساجدة لله شكرًا، وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني، وتقبل نسكي مني، وانصرفت، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادت: السلام عليك يا أبا عبيد بشراك، فقال: لا زلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم، في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج وإكليل، وهو يقول: يا أماه أبشري، فقد قبل المهر، وزفت العروس[1].

(١) فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق ص(٢٦) لابن النحاس. اختصار محمود العالم.

OBEIKAN.COM

[٤١] ارجع إلى أمك

عن العلاء بن هلال الباهلي: أن رجلًا من قوم قال لصلة: يا أبا الصهباء إني رأيت أني أعطيت شهدة وأنت شهدتين، فقال: خيرًا رأيت، تستشهد وأستشهد أنا وابني. فلما كان يوم يزيد بن زياد لقيهم الترك بسجستان، فكان أول جيش انهزم من المسلمين ذلك الجيش. فقال صلة لابنه: يا بني، ارجع إلى أمك، فقال يا أبه أتريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجوع بل ارجع أنت والله كنت خيرًا مني لأمي: قال: أما إن قلت هذا فتقدم، فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده -وكان رجلًا راميًا- حتى تفرقوا عنه، وأقبل يمشي حتى قام عليه، فدعا له، ثم قاتل حتى قتل.

فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية، فقالت: إن كنتن جئتن لتهنئنني فمرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن[1].

---

(١) المنتظم (٦/ ١٧١).

OBEIKAN.COM